مَرويات الأندلسيين الشِّعرية في عـهدي المُرابـطين والمُوحِّدين (القاضي عياض وأبو الربيع بن سالم أُنموذجاً) – دراسة مُوازنة –

أ . م . د . نزار شكور شاكر
جامعة السليمانية / كلية التربية الأساسية

الملخص

هذا بحث أدبي مكرّس لبيان منهاج الرواية المعتمد لدى راويتين أُختيرا أُنموذجين لمرويات الأندلسيين الشعرية من العهدين المرابطي والموحدي اللذين شهدتهما بلاد المغرب والأندلس هما القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) ، وأبو الربيع بن سالم (ت ٦٣٤ هـ) ، على نحو موازن ، بإعتماد المنهاج الوصفي – التحليلي ، ضمن فصلين بحثيين تسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة كان من أبرز النتائج فيها عدم توافر أي خلاف (جوهري) فيما يتعلق بالمنهاج ، وإنّما كان هنالك أكثر من مقترب بين الراويتين ، مع إنفراد (أسلوبي) طبيعي في كيفية التعامل مع الرواية أحياناً .

المقدمة :

تعد الرواية أحد الدعائم البارزة التي إنطوى عليها تاريخ الشعر العربي ، وتأتي أهمية موضوع البحث القائم بين يدي القارىء الكريم في أنه يدرس على نحو موازن النصوص الروائية لشاهدين على مرويات الأندلسيين الشعرية ، وتحديداً لدى عالمين جليلين كرسا نفسيهما للعلم والأدب ينتمي أحدهما إلى العصر المرابطي وهو القاضي عياض الذي عاش بين (٤٧٦ – ٥٤٤هـ) ، والآخر إلى العصر الموحدي وهو أبو الربيع بن سالم (٥٥٥– ٦٣٤هـ) .

وإذا كان لابدّ من الإنتهاء سلفاً بالقول إلى توافر الرواية الأندلسية والقائمين عليها من الرواة الأندلسيين بالقرائن الدالة الثابة في التراث الأندلسي، فإن ما يقع خارج إدراكنا لأول وهلة ، أو يكاد – وهذا إشكال – هو منهاج الرواية المعتمد لدى الراويتين الذي سيخضع للموازنة ، ضمن منهاج متبع يضع نصب عينيه التعامل مع الواقعة النصية المحالة إليه بعد مرحلة الإستقراء بالوصف والتحليل ، وكل ما من شأنه أن يسهم في

الوصول إلى النتائج المرجوة من هذا العمل ، آملين تحقيق المنفعة العلمية والله المستعان وهو يهدي السبيل .

الفصل الأول : التعريف بالراويتين :

المؤشر الأول : التعريف بالقاضي عياض :

يبدو أن الحديث عن جوانب حياة القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) لايعود بالنفع المطلوب المُرتجى ضمن سياقات هذا البحث ، ولاسيما بعد أن سبقتنا منذ أمد بعيد مؤلفات مستقلة بهذا الصدد سلّطت الضوء بإستيفاء على حياة هذا العالم الجليل ، كما جاء في كتاب : (التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد) وبعد ذلك كتاب (أزهار الرياض في أخبار عياض) للمقّري (ت ١٠٤١ هـ) .

ولعلَّ الإشارة التي تبدو مفيدة ضمن الحقل المعرفي في هذا المبحث ، هي التي تنأى بنفسها عن إجترار ما سبقنا إليه القدامى والمحدثون في ميدان تسليط الضوء على ما يتعلق (بأولية القاضي عياض) ، وشيوخه إلى غير ذلك مما تعارف عليه الجمهور ، ولذلك يبدو من الأفضل لمسار البحث تقديم بديل (مفيد) يفصح عمّا ألم به هذا العالم الفاضل من العلوم التي تسمح بتكوين سياق إدراكي أولي يرافق القاريء الكريم ضمن الوقوف على أبعاد هذا العمل ، ويصب في مجرى سير الدراسة المكرسة أصلاً لتسليط الضوء على جانب من المحور الأدبي الفاعل ، وتحديداً الروائي لدى عياض الراوية .

وبدءاً فإن للمكان والجو السائد فيه– كما هو معلوم – الأثر البالغ في تكوين الشخصية العلمية ، ولا سيما المكان الذي ينماز بموقع جغرافي أُستثمر بحذاقة ليكون بيئة فاعلة للوسط (العلمي – الثقافي) القائم ، وهذا ما توافر أقول – لحسن الحظ – للقاضي عياض " إذ ولد القاضي عياض بسبتة في منتصف شعبان سنة ٤٧٦هـ وسبتة قاعدة من قواعد المغرب . هيأها موقعها الجغرافي لأن تكون ملتقى العلماء ، سواء الواردون عليها من المشرق والمغرب ، بقصد الرحلة والاقامة ، وأن تصبح نتيجة لذلك ملتقى ثقافات متنوعة متعدد . وهكذا أنشأ العلماء والمقيمون بسبتة ، والوافدون إليها ، مركزاً ثقافياً بها له أهميته ، وله مميزاته وخصائصه " (١) ولذا فقد كان القاضي عياض على مستوى عالٍ من الإدراك لضرورة الإفادة الحقّة مما هو متاح له في النطاق المعرفي من حوله بعد توافر الرغبة في ذلك ، إذ أفاد من ذلك الجو العلمي المحيط به مبتدئاً بالشيوخ ، فقد " عني

بلقاء الشيوح والأخذ عنهم " (٢) ، ولهذا الأمر تبعات تذكر، ذلك أنه بالإمكان إضافة عامل الرحلة العلمية إليه ، فقد رحل إلى الأندلس سنة سبع وخمسمائة طالباً للعلم ، آخذاً عن علمائها (٣) ، وخير دليل على ذلك ماجاء على لسان معاصريه من المؤلفين ، فقد " قال أبو زيد القصير في كتابه الذي ألفه في مناقب من أدركه من أعيان عصره وقد ذكر أبا الفضل عياض ، فقال فيه بعد كلام : ومن شعره عند صدره من قرطبة بعد تقييده ما قيد بها من الروايات ، وطلب بها من العلم ما طلب ، ... الأبيات " (٤)

ومثل هذه الرغبة الحقيقية في تلقي العلم لم تكن ملامحها غائبة عن شخصيته ، فسرعان ماظهر ذلك عليه فـ" كان لايدرك شأوه ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث وتقييد الآثار وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه والتصرف الكامل في فهم معانيه إلى إضطلاعه بالآداب وتحقق بالنظم والنثر ومهارته في الفقه ومشاركته في اللغة العربية " (٥) ، ويهدينا هذا النص بيُسر إلى تلمّس تلك المجالات التي برع فيها قلم القاضي عياض وهي فضلاً عن (علم الحديث الشريف) (٦) ، المجال اللغوي والأدبي ، فقد " كان كبير الشأن ، غزير البيان " (٧) بعد أن كان رائداً في مضمار السبق ضمن هذا الباب الأدبي ، إذ :" جاء على قدر ، وسبق إلى نيل المعاني وابتدر فاستيقظ لها والناس نيام ، وورد ماءها وهم حيام " (٨) ، ولذلك " كان لايخطب إلا بإنشائه "(٩) كماجاء أنه " كان رياناً من الأدب ، شاعراً مجيداً ، كاتباً غالباً بليغاً خطيباً حافظاً للغة " (١٠) ، ويكفي أنه قد وصف إجمالاً بـ " العارف الأديب " (١١) ، هذا وتفيد بعض المصادر أنه في مسيرته العلمية كان مدركاً لما إضطلع به من علوم فقد كان " من أهل التفنن واليقين في العلم والذكاء واليقظة والفهم " (١٢)

ونختم الحديث هنا بوفاته فقد :" توفي بمراكش في شهر جمادى الأخيرة . وقيل في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة وقيل : أنه مات مسموماً سمّه يهودي ، ودفن رحمه الله تعالى بباب ايلان داخل المدينة " . (١٣)

المؤشر الثاني: التعريف بأبي الربيع بن سالم :

هو : " أبو الربيع بن سالم ، سليمان بن موسى بن سالم بن حسّان بن سليمان بن أحمد بن عبد السّلام الحميري الكلاعي الأندلسي البلنسي " (١٤) ومن إستقراء سيرته يبدو أنه كان علماً ذائع الصيت في العلم والأدب ، ذلك أن بعض المصادر أوردت له نعوتاً

عديدة إتفقت من حيث المبدأ في مجملها على مكانته في الوسط (العلمي- الأدبي) الذي كان قائماً في الأندلس آنذاك (١٥) ولعلّ في هذا الأمر ما يدعونا إلى الإنتقال مباشرة إلى بيان علومه وحاله – رحمه الله- وبيان علو شأوه فيهما .

ولنستهل أيها القارىء الكريم هذا القصد هنا بالنقل عن تلاميذه النُبهاء ، ولاسيما وأن من أقرب من سلط الضوء – زمنياً – على هذا المحور الحافل بالأمجاد بعض تلاميذه ولاسيما أُولئك المقربون من شيخهم ، فقد قال عنه إبن الأبار(ت ٦٥٨هـ) هذا التلميذ البار بأُستاذه : " كان بقية أعلام الحديث ببلنسية ، عني أتم عناية بالتقييد والرواية ... وكان الخط الذي يكتبه لانظير له في الإتقان والضبط ، مع الإستبحار في الأدب والإشتهار بالبلاغة فرداً في إنشاء الرسائل مُجيداً في النظم " (١٦) ، وقال عنه أيضا أبو الحسن الرعيني (ت ٦٦٦هـ) : " أجلّ من كان بقي من الأعلام الأكابر ، وأخطب من أنشأ خطبة من رقاة المنابر ، إلى براعة الآداب وحفالتها والإجادة لإيجازها وإطالتها ، وفضيلة الذات وكمالها وحسن الشارة وجمالها ، حسنة عظمى من حسنات الزمان ومفخرة يختص ببلده وتعم جميع البلدان " (١٧)

وتناقل بعد ذلك المؤلّفون الأخبار عنه تباعاً ، فقال الحافظ الذهبي(ت ٧٤٨هـ) : " قال إبن مسدى : لم ألق مثله جلالة ونبلاً ورياسةً وفضلاً ، وكان إماماً مبرزاً في فنون من منقول ومعقول ومنثور وموزون ، جامعاً للفضائل ، برع في علوم القرآن والتجويد ، أما الأدب فكان إبن نجدته وأبا نجدته " (١٨) ، كما ورد عنه أنه " كان هو المتكلم عن الملوك في مجالسهم ، والمبين عمّا يريدونه في المحافل على المنبر " (١٩) ، بعد أن كان قد " ولي الخطبة بالمسجد الجامع من بلنسية في أوقـــــــات . وكان رئيساً في الحديث والكتابة " (٢٠)

ولم يكن الأمر مقتصراً على هذا الطابع ، بل كان على حسب الإشارات المتوافرة من المصادر والمراجع إلى هذا الجانب اللغوي – الأدبي المتعلق به ، مكثراً من التصنيف المفيد في فنون شتى عديدة . (٢١) ، ولعل هذا ما أشار إلى الذهبي قديماً بالقول في نهج أبي الربيع أسلوب جمع المجاميع المعرفية : " وجمع المجاميع تدلّ على غزارة علمه وكثرة حفظه ومعرفته بهذا الشأن " (٢٢)

ولاغرابة بعد ذلك في أن نجد من يقول فيه : و" إليه كانت الرحلة في عصره للأخذ عنه والسماع منه ، إنتفعت به في الحديث كل الإنتفاع .أخذت عنه كثيراً " (٢٣) ، وتعدّ

هذه الكلمات الصريحة إحدى الشهادات المأثورة في حقّه ، فقد شهد بذلك وأقرّ من قبل أيضاً الرعيني على الرغم من (البعد المكاني القائم – الزائل) بين الأستاذ وتلميذه قائلاً : " إنتفعت به – رضي الله عنه – وإن كان في شرق البلاد وكنت في غربها ، وإستفدت منه على بعد الدار ما لم أستفده من سواه على قربها " (٢٤)

وكان الإطلاع على فحوى هذه النصوص الإخبارية من قبل هي التي حدت بأحد الباحثين – المحققين إلى القول :" وعندما إمتلأ وطابه من العلم ، وتمكّن من علوم الحديث والأدب واللغة ، تصدّر للتدريس فآض علماً مقصوداً تشد إليه الرحال من البقاع المختلفة ، فانتفع به خلق كثيرون وأخذوا عنه العلم " (٢٥)

ولاشكَّ في أن لهذا الأستاذ الجليل بعد ذلك شيوخ أخذ العلم عنهم ، فضلاً عمن روى عنه مروياته (٢٦) فقد سمع أبو الربيع من جملة من أعلام المشايخ في الأندلس (٢٧) ، ويبدو أن سماعه لم يكن محصوراً على الأندلسيين فحسب ، قال إبن الخطيب بعد أن أورد طائفة من أسماء شيوخه : " ... وجماعة غير هؤلاء من أهل المشرق والمغرب " (٢٨) ، وتفسير هذا الأمر يرجع ببساطة إلى طبيعة مساحة تلك الباقة (الثقافية – المعرفية) التي أخذ عنها أبو الربيع ردحاً من الزمن ، فمن الجدير بالذكر في هذا النطاق أنه وفي معرض بيان إجازته العلمية ورد انه أُجيز من لدن بعض العلماء المشارقة أيضاً ، فضلاً عن أبناء جلدته من الأندلسيين ، إذ " أجاز له أبو العباس بن مضا ، وأبو محمد عبد الحق الأزدي صاحب الأحكام وآخرون " . (٢٩) ، وقال الرعيني : " وممن أجازه من أهل المشرق : أبو عبد الله الحضرمي ، وأجازه أبو محمد عبد الحق الإشبيلي وأبو الحسن علي بن عتيق بن عيسى بن أحمد بن مؤمن الأنصاري القرطبي وغيرهم " (٣٠)

الولادة والوفاة : ولد أبو الربيع بقاعدة مرسية في أول ليلة الثلاثاء مستهل شهر رمضان سنة خمس وستين وخمسمائة ، وأُستشهد – رحمه الله – مقبلاً غير مدبر في وقعة أنيشة على ثلاث فراسخ من بلنسية ضحى يوم الخميس الموفي عشرين لذي الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة (٣١) وقد أبّنه ورثاه بعض الأدباء والكتاب منهم : إبن الأبّار القضاعي تلميذه ، والفقيه أبو المُطرف بن عميرة المخزومي، والأديب إبن شلبون المعافري (ت ٦٣٩هـ) . (٣٢)

الفصل الثاني : منهاج الرواية :

القسم الأول :

آليات العمل : بعد أن مهّدنا في الفصل الأول بمبحثين إثنين لهذا الفصل الجوهري في الدراسة الحالية يمكن القول عن قناعة هنا أن لا تعارض في الصميم يذكر بين الخلفية الدينية والأدبية البارزة لدى الراويتين فهما شخصيتان جمعتا من بين إهتماماتهما كباقي الشخصيات الملمة بهذا الأمر الثقافي ، ولا سيما السابقة زمنياً لهما بين رواية الحديث الشريف ، والشعر العربي ، فقد " كانت عائشة رضي الله عنها كثيرة الرواية للشعر يقال أنها كانت تروي جميع شعر لبيد " (٣٣) ، وهي المعروف عنها والمتداول أنها روت أحاديثاً كثيرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ولا سيما بعد توافر موقف تاريخي متقدِّم مؤيد لذلك ، إذ " لم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وأثاب عليه (...) وكان لعمر بن أبي ربيعة كبير قريش لذلك العهد مقامات فيه عالية وطبقة مرتفعة وكان كثيراً ما يعرض شعره على إبن عباس فيقف لإستماعه معجباً به " (٣٤)

وبل هذا الوضع كان ملمحاً سائداً بشدة لدى العرب ، " قيل لسعيد بن المسيب : إن قوماً من أهل العراق لايرون إنشاد الشعر . فقال : لقد نسكوا نسكاً أعجمياً " (٣٥) ، يأتي هذا بعد تبلور ضرورة ثقافية راهنة إرتبطت بوضوح بنمط الحياة قديماً حيث كان الإنشاد في المحافل يومئذ مصطفّاً ضمن عوامل الإزدهار الثقافي الذي كان رائجاً في المجتمع بإنعكاساته الأدبية والنقدية ، إذ " يروي الرواة أنه كان للعرب أسواق يجتمعون فيها ويتناشدون الأشعار ويتناقدون ، فكان ذلك أيضاً عاملاً إجتماعياً في ترقيق الألفاظ وتدقيق المعاني وترقية النقد ... وعلى الأخص سوق عُكاظ " (٣٦)

والدافع إلى التوجه صوب نطاق هذه الدائرة المتكاملة أدبياً، نابع من الإدراك السليم لأثر الشعر الإعلامي في شخصية الفرد في عن طريق الإسهام الفاعل له في غرس قيم الفضيلة السامية في المجتمع الإنساني وترسيخها ففي الحض على رواية الشعر" قال الزبير بن بكّار : سمعت العمري يقول : رووا أولادكم الشعر فإنه يحل عقدة اللسان ، ويشجع قلب الجبان ، ويطلق يد البخيل ، ويحض على الخلق الجميل " (٣٧)

وبعد فيعد القاضي عياض وأبو الربيع بن سالم أحد السائرين على النهج الذي سبق ، ومن ممثليه ، فقد عاش القاضي في عصر قوم كان " شعرهم شعر مجالس

يقيمونها للرواية والإرتجال " (٣٨) ، أما ابو الربيع فقد كان " خطيباً راويةً ناظماً وناثراً" (٣٩) ، مواكباً بجدارة مسيرة العلم والأدب على وجه الخصوص في عصره ، فقد " تعددت أسماء الأعلام في مشيخة أبي الربيع الكلاعي ، إذ لم يترك عالماً بعصره أو أدركه بزمانه إلارحل إليه وأخذ عنه ، وروى عنه ما ألّف من كتب ، أو دواوين ، وما وروى وأنشد من أشعار " (٤٠) ، ولذلك فقد كان له برنامج رواياته (٤١) "ذكر فيه الكتب والدواوين التي رواها" (٤٢) ، فضلاً عن روايته بعض القصائد القديمة المشهورة تاريخياً ، كما جاء في برنامج الوادي آشي ، بقوله : " قصيدة كعب بن زهير في مدح سيدنا المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وأولها : نأت سعاد . سمعتها على القاضي أبي العباس بن الغماز بسماعه لها على أبي الربيع بن سالم ، قال : قرأتها على الفقيه أبي القاسم بن حبيش وغيره برواية إبن حبيش لها عن الحسن بن مغيث ....عن إبن إسحق بسنده في سيرته "(٤٣) ، وكذلك فعل القاضي عياض من قبل في إطار " روايته للشعر العربي القديم " (٤٤) وقد يسأل سائل كريم متابع عن الطريق السالك الذي أوصل لنا هذه المرويات المدونة في المظان ؟ لذا فمن الجدير بالذكر التعريج على أبرز العلامات الدالة في هذا السبيل ، فمن أثر صحبة الأديب إبن الأبّار لشيخه أبي الربيع الذي علّمه الصناعة (٤٥) صحبة طويلة ، إذ : " صحب أبا الربيع بن سالم بضعاً وعشرين سنة " (٤٦) برع إبن الأبار في أن يكون أبرز الرواة عن شيخه ، والقرّاء عليه في ميدان الرواية العام ، فهو كما قال إبن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ) : " أحد من روى عنه وقرأ عليه " (٤٧) ، بل وبدقة أكثر " الأخصّ به " كما قال المراكشي(ت ٧٠٣هـ) صاحب الذيل والتكملة (٤٨) يأتي هذا بعد أن أوثر عن القاضي عياض توافر راوية ناقل عنه في ضوء الذي أورده إبنه محمد له في حدود التعريف به في أحد مؤلفاته المذكورة سابقاً في مستهل هذا البحث من طريق ، ناهيك عمّا صرّح به القاضي عياض نفسه في معظم مؤلفاته بإستثناء قلّة منها ، وهذا ما لم نلحظه لدى أبي الربيع وعدم ظهوره بهذا الشكل معه ، قد يرجع إلى عامل ضياع جزء كبير من مؤلفاته .

وسيتجمع الهدف الرئيس في هذا القسم حول بيان كيف تمت الرواية أولاً ، ولمن كانت ، وعمّن كانت ؟ وماذا روي ثانياً ، بعد أن تتحرك الدراسة فيه صوب تحقيق هذين المطلبين :

المطلب الأول : كيف تمت الرواية ؟

لاشك في أن الإسناد (بالتواتر) أمر ثابت ومتعارف عليه في نظام الرواية وأصولها ، وبدءاً ففي أسلوب الروايتين بالوسع أن نرى صنف الرواية المباشرة ، تلك التي أُخذت عن معاصريهم نقلاً عنهم ، من غير وسيط يذكر ، كما جاء في أحد مرويات أبي الربيع بهذا الشأن " إذ قال أبو الربيع إبن سالم الكلاعي : أنشدني أبو بكر بن منخل لنفسه : (٤٩)

مَضَتْ لِيَ سِتٌّ بَعْدَ سَبْعينَ حجَّةً وَلِيَ حَركاتُ بَعدها وسكونُ

فياليت شِعري أين أوكيف أو متى يكونُ الذي لابُدَّ أنْ سيكونُ

وفضلاً عن هذا النمط الطبيعي من المرويات المرتبط أساساً بفرص اللقاء المتاح بين الراوي والشاعر أوبالعلاقة القائمة بينهما ، أبان قدر منها ثانياً عن نظام متبع يقوم على وفق الإسناد بالتدريج ، في منظومة النقل الشعري ، فكان الإسناد القصير عن (الناقل) أسلوباً متبعاً على نحو ملحوظ لدى الراويتين ، ومن أبرز مظاهره إختيار الأنموذج المشهورفقط للمروي عنه كما ورد في رواية القاضي عياض لشعر أبي الوليد سليمان بن خلف " ومن شعره المشهور ، ما أنشده أبو بكر بن الخطيب البغدادي . قال أنشدني أبو الوليد سليمان بن خلف لنفسه رحمه الله : (٥٠)

إذا كنت أعلم علماً يقيناً بأن جميع حياتي كساعة

فلم لا أكون ضنيناً بها وأجعلها في صلاح وطاعة

وفيه أيضاً إقترنت الرواية بسرد مكاني وزماني بهدف تكثيف جانب التوثيق فيها الذي يضفي عليها المصداقية اللازمة في هذا المجال النقلي . قال إبن الأبار :" وأنشدنا أبو الربيع بن سالم بحاضرة بلنسية غير مرة ، قال أنشدنا أبو رجال بن غلبون بمرسية سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة في مجلس شيخنا أبي القاسم بن حبيش رحمه الله قال أنشدنا أبو إسحق إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة لنفسه بجزيرة شقر بلده في بضع وعشرين وخمسمائه مما كان قاله لما بلغ الستين من عمره : (٥١)

ألا ساجلْ دُموعي يا غَمامُ وطارِحني بشَجوِكَ ياحَمامُ

(الأبيات ...)

ومن ميدان الرواية عن طريق إثنين ناقلين للشعر ، نجد إنموذج الإتصال بالنسب الأُسَري بين المُنشِد والمُنْشَد له الأبرز حضوراً فيه بعد قيام صلة الرحم / القربى بينهما ، كما ورد بين الأخ وأخيه في قول إبن الأبار بعد أبيات " أبي الطاهر إسماعيل بن مسعود الخشني إبن أبي الركب :

يـــقـــولُ النـــاسُ في مَـــثَـلٍ تـــذكَّـــرْ غـائـــباً تَـــــرَهُ
فـــمـا لـــي لا أرى سَـــكني ولا أنـــــسَى تـــذكُّـــــره

أنشدناه أبو الربيع عن إبن حميد قال : أنشدناه أبو بكر إبن مسعود لأخيه إسماعيل " (٥٢)

ويمكن القول أن ما بقي من هذا السبيل من (خدمة أدبية) كان قائماً على عنصر الإنتقاء للأسف الشديد ، إذ يبدو أن ما قدم لنا منه كان حريصاً على عرض الأنموذج النادر فحسب ، كما جاء في رواية القاضي عياض بعد قول أبي الطاهر في أبيه : " وكنا إذا بقينا بلا شيء نقتاته كنت أسمعه في الليل يقول : (٥٣)

مالي تلاد ولا استطرقت من نسب وما أؤمّل غـير الله مـن أحـــد
إنَّ القنـوع بحـــمد الله يمـنعني مـن التعـــرض للمنانة النـــكد
إني لأكـــرم وجـــهي أن أعرضه عـند السؤال لغير الواحـد الصمد

وبتعبير آخر فقد ظهرت بوادر هذه الإشكالية لدى الراويتين في ضوء القلة الملحوظة من شعر (الشاعر) ، وعليه فلم نألف – فيما تبقى – رواية جادة أحاطت تماماً بشعر من ينتسب إليه الناقل ، أو تعذر علينا ذلك .

وقادت طبيعة الروائية إلى تفاوت في السلسلة التي جاء بها الشعر المروي أولاً ، كما ظهرهذا الأمر بوضوح لدى القاضي عياض وهذا ما يمهد بدوره إلى بروز نقطة خلافية ترصد بين الراويتين في إطار البعد والقرب عن جنس المرويات (المغربي– الأندلسي) ، تتمثل في عدم الإقتصار على رواية ما للشاعر (المغربي– الأندلسي) من متن شعري ،

كما في قول القاضي عياض على سبيل المثال :" أنشدنا أبو الحسين : علي بن أحمد المقدسي قال أنشدني الأمير أبو الفتيان بن حَيُّوس الدمشقي لنفسه : (٥٤)

وقد قالت السبعون للهو والصبا دَعَا لي أ سيري وانهضا حيث شئتما

ولهذ السند المفرد الناقل للشعر شكل آخر لا يختلف عنه من حيث جنس المروي المشرقي ، كما جاء من جانب التطرق إلى الاخذ الإخباري – الأدبي من طريقين عن المصدر المكثر من إنشاد شعر الشاعر، وذلك في قول القاضي عياض :" وأخبرنا أبو الحسن : علي بن أحمد الشافعي ، وأبو عبد الله محمد بن قطري النحوي ، عن أبي بكر : أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي من أناشيده لأبي القاسم بن نباتة السَّعدي (بن عمر : أبي نصر) : (٥٥)

أعاذلتي على إعتاب نفسي ورعيى في السُّرَى رَوْضَ السُّهادِ
إذا شَامَ الفتى بَرْقَ المعالي فأَهْونُ فائتٍ طِيبُ الرقاد

وبعد عرض بعض مواطن الإشتراك والإختلاف السابقة ، تجدر الإشارة إلى أن المؤشر الدال على (الإختلاف النوعي) هنا يقع في آلية الرواية ذاتها ، فبعد أن إلتزم أبو الربيع نظام الإسناد (للناقل والمنقول عنه المعلومين) منهاجاً روائياً ، زاوج القاضي عياض من جهته بين المعلوم والمجهول في هذا المجال ، فنحن نقرأ له عبارات : (أنشد ... لبعضهم) ، (أنشد ... لبعض علماء شاش) ، (... كان ينشد لبعضهم) (٥٦) ، و" قال بعضهم : أنشد محمد بن عبد الحكم : (٥٧)

لما عفوت ولم أحقد على أحد أرحت نفسي من غم العداوات
إني أجيء عدوي عند زاويته لأدفع الشر عني بالتحيات
وأظهر الشر للإنسان أبغضه كما أملي قلبي من محبات
ولست أسلم ممن لست أعرفه فكيف أسلم من أهل المودات

ولايغلب الظن أن هذا الأسلوب المتبع كان فحسب من إفرازات السرعة المطلوبة آنذاك في ملاحقة مثال النص المبرمج صوب تحقيق غاية إجتماعية سعى إليها الراوي ، ولا سيما وانه قد راق أحيانا له هذا الأسلوب التأليفي ، فأخذ بالتلاعب به فنياً حينما ذكر من غير تصريح لذكر إسم المؤلف ما أنشده بعضهم للشيخ أبي حفص بقوله :" أنشد له جامع شعر الصقليين قوله : (٥٨)

تأملّت علم المرتضين أولي النهى فأفضلهم من ليس في جـده لعــب

(الأبيات ...) . فكانت الإحالة إلى المصدرالمؤلف من طرفه كافية للوقوف على إسم صاحبه لدى الطرف الثاني (المتلقي : السامع أوالقارىء) ، بعد أن يقع ذلك في نطاق المعرفة .

وعلى وجه العموم فقد كان مدار هذه الحلقة الغليظة محاطاً بالأخذ عن (االثقات) ففي أخبار أبي الوليد سليمان بن خلف قال القاضي عياض : " ومما أنشدناه له ثقة من أصحابه يرثي إبنه وأخاه " (٥٩)

رعى الله قبرين إســتكانا ببــلدة هما أسكناها في السـواد من القلب

(الأبيات ...) .

المطلب الثاني :

لمن كانت الرواية ؟ وعمّن كانت ؟ وماذا روي من أغراض؟ :

كانت الرواية –على حسب ما جاءت في المصادر المتوافرة بين أيدينا – إجمالاً لثلّة من أهل المشرق المغرب والأندلس ، توزعت بين العلماء والفقهاء والقضاة ، والخطباء والنحاة ، و كذلك من ذوي المناصب من الوزراء وسواهم من الأدباء والشعراء والمؤلفين ، من المشهورين وسواهم ، فضلاً عن بعض الشيوخ والتلاميذ ، ومن أبرز ما يخرج به القاريء الكريم من إنطباع عن مرويات القاضي عياض كثرة الإقبال على رواية شعر غير الأندلسيين في بعض مؤلفاته ، وهذا ما نبّه إليه من قبل أحد الباحثين متفضلاً ، بقوله : " كان عياض يقبل كثيراً على الأدب المشرقي ، ففي كتابه " بغية الرائد " لايورد للأندلسيين

بيتاً واحداً ، وما أورده للأندلسيين في ترتيب المدارك " فهو أقل بقليل وإذا عدنا إلى مروياته في " الغنية " وغيرها فاننا لانجده يروي للأندلسيين في باب الأدب شيئاً يذكر " (٦٠)

والظاهر بعد الإستقراء ومراجعة الأسانيد الروائية ، أن حجم الرواة الذين أخذ عنهم القاضي عياض(إيذاناً ، وسماعاً ، ...) يفوق العدد الذي تيسر لأبي الربيع أن يأخذ عنهم إنشاداً ، وذلك ما قد يرجع من طرف إلى تنوع الهدف الروائي لدى (عياض المؤلف) ، الذي فتح الباب على الإفادة المبررة من الموروث المشرقي القار الذي تناقل منذ عهود بين الطبقات المعنية به ، بعد أن وجد فيه المراد ، فكان مثار الإعجاب يقصده القاصدون لغاياتهم ، وإن لم يكن هذا المَعْلَم الأوحد أنذاك في بلاد المغرب والأندلس ، ولاسيما لدى أبنائه المهتمين بهذا الجانب ، ذلك أننا نجد في بعض مصنّفات القاضي عياض ، فضلاً عن التي ألفت من بعده ، هنالك ذكر لطائفة منهم لا بأس بها ، وذلك في المؤلفات الآتية :

١- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السّماع .

٢- فهرست شيوخ القاضي عياض (المسمّى الغنية) .

٣- التعريف بالقاضي عياض .

إذأفادت الطبيعة التعريفية لهذه المؤلفات من جانب الكشف عن هوية هؤلاء النقلة من المغاربة والأندلسيين بشكل أو بآخر ، مع أنه لم يكن الذكر الصريح لإسم العلم الراوي (الأول) فحسب حاضراً فيها في كل وقت ، بل كان بعضهم يعدّ في عِداد المجهولين ، وهذا ما كان وارداً على سجيته في السياق الروائي من غير أن يقدح فيه بدليل أنه قد تم النقل عنه قديماً وإستمر من غير حرج يذكر ، فهذا الأسلوب والحال هذه لم يكن بدعة عمد إليها القاضي عياض على الإطلاق ، واستمر الحال على ما هو عليه بعد وفاته أيضاً ولا سيّما بعد توافر جمل أطلقها إبنه – الأقرب إليه –بقوله في مقاطع من شعر أبيه المروي له من بعده عن طريق (الأصحاب) : " أنشدنيه غير واحد ممن كان معه ، ... أنشدنيه غير واحد من أصحابنا ، ... أنشدنيه بعض أصحابنا " (٦١)

أما فيما يتعلق بـ (ماذا رُوي) ؟ ، فقد دلّت جميع المصادر على أنه تمت رواية مختلف الأغراض الشعرية من لدن الراويتين ، من نحو الوصف والغزل والإعتبار ، والشوق والشكوى ، والعتاب ، والحكمة ، والفخر ، والزهد (...) قبل أن يحيلنا هذا الأمر تلقائياً إلى مفارقة نقاط الإشتراك بين الراويتين قليلاً في هذه الفقرة لدى القاضي عياض الذي رصد

من منظوره ما في المجتمع من ظواهر سلبية ضمن إطار ما يعرف بالنقد الإجتماعي الجاري على خلفية سلوك إجتماعي ، وهذا ما قد يفيد المتتبع في بيان لجوء القاضي عياض إلى رواية أغراض النصح (الديني – الإجتماعي) بوصفها وسيلة (أخلاقية) ناجعة –آنذاك – لمجابهة ومن ثم تلافي سلبيات المجتمع القائم حدّ الإمكان ، في مؤشر جليّ على أن الرواية كانت تساير بوضوح الجانب القيمي للفرد ، وتحرص على تقديم كل ما من شأنه العمل على تعزيز مستوى أخلاقياته وآدابه كما جاء في مواضع متفرقة من فهرست شيوخه المسمّى (الغنية) .

القسم الثاني :

المقاييس العملية :لاشكَّ في أن النظرة العملية في التعامل مع المنقول النصي– التوثيقي لم تكن غائبة عن الراويتين حسبما يظهر مما دار في نطاق مروياتهم بالإستناد إلى ثمة آليات لقياس ذلك حين روايته،فقد"بنى الأندلسيون نظريتهم التوثيقية في الشعرعلى مقاييس لم تمس الشعر من الداخل فحسب وإنّما تناولته من الخارج تناولاً شمل المصادر والمظان إلى جانب صحة الإسناد فمزجوا بين الروايات المتعددة ونقضوا بعضها،وتدخلو أحياناً في المبنى الشعري فأبدلوا ما لايليق به،واتهموا غيرهم بالخلط والوهم والخطأ، ومعتمدهم في ذلك كلّه جملة من المقاييس اللغوية والمعنوية والمعرفية والفنية والذوقية". (٦٢) ، ومما تناقلته مروياتهم من مظاهر هذه المقاييس في إطار هذا البحث ما يلي :

١–الإلتزام بموسيقى الشعر العربي القديم ، وشفاهيته المتأصلة ، وأخلاقياته وأغراضه : فبالوسع أن نستشف من جملة المرويات ذات السمة القصدية للراويتين ، أنها كانت إنعكاساً بإمتياز موافق للإتجاه المحافظ ، ومقاصده على وجه العموم ، على حسب النقاط الآتية :

أ–عدم رواية الموشّحات والأزجال وغيرها من الفنون المستحدثة ، والإقتصار على رواية القريض .

ب– الإكثار من إيراد الرواية من طبقاً لثقافة الإنشاد السماعي الصوتية في جملة مروياتهم التي وصلت إلينا ضمن آلية حفظت بأمانة قبل كل شيء مكانة الجانب الشفاهي الأصيلة في الرواية الشعرية العربية .

ت- النأي عن رواية غرض الهجاء (بمعنى التشهير والإقذاع ...) ، حتى وإن كان لهذا القول قيمة فنية بالغة ، قال القاضي عياض : " وبعد هذا بيت قبيح تركناه لفحشه ورفثه ، وإن كان بيت الأبيات الثلاثة في بابه " . (٦٣) ففيه دليل على تغليب الهدف الأخلاقي البحت على فرصة الحصول على (الأنموذج الشعري) عن طريق الرواة الضابطين ، والشواهد على ذلك كثيرة في مرويات القدامى ممن يصب في مصب هذا التفويت الفني .

ث- مع غياب تام للشعر الخمري عن ساحة الراويتين ، قد نجد بندرة مثالاً من الشعر الصوفي المشرقي ضمن مرويات القاضي عياض ، وذلك عن طريق إبنه محمّد ، القائل : " أنا أبي رضي الله عنه فيما كتبه لي بخطه ومنه نقلت ، قال : نا أبو الحسن المقدسي إذناً ، قال : أنا أبو بكر الخطيب إجازة ، قال أنشدني يحيى بن علي بن الطيب الدسكري لأبي علي الرُودَبارِي الصوفي : (٦٤)

ولو مَضى الكل منّي لم يكن عجبا وانّما عجبي في البعض كيفَ بقي
ادرك بقية روح فيـــك قـد تلفت قبلَ الفـــــــراق فهذا آخر الرمق

٢- الإستحسان الذوقي : لاشك في أن القرآن الحاصل بين الرواية وعنصر الإستحسان النقدي يؤسس إلى ظهور قيمة تداولية (ذائعة الصيت) للمروية الشعرية زمنياً ، فبعد أن أنشد أبو الربيع للأديب الكاتب أبي بحر لنفسه يتغزّل ويصف ليلة أُنس : (٦٥)

ياحُسنَه والحسنُ بعضُ صِفاتِهِ والسِّحر مَقْصورٌ عـلى حركاتِهِ
(الأبيات ...)

عزّز إبن سعيد الأندلسي توجّه أبي الربيع إلى إستحسان القطعة المروية ذوقياً بإيرادها بعيداً عن الخوض في ميدان التعليل والبيان الموضوعي ، بقوله في ترجمة أبي بحر :" وله الأبيات التي يغنَّى بها في الآفاق : ياحُسنه ... الأبيات) " (٦٦)

ويبدو أن صورة هذا الإلتفات صوب سمة الغنائية وفاعليتها ، كانت من تبعات ما رسخ في الذهن العربي في إطار المزاوجة بين التجارب الشعرية السابقة على هذا الخط الحيوي ، ولاسيما بعد أن راعت أبيات القصيدة فنياً نَفَس الشعراء الأعلام عبر عصور أدبية مختلفة في هذا الغرض المتجدد (الغزليات) ، فضلاً عن إستلهام معانيهم .

وكانت المساحة الروائية التي تحرك عليها القاضي عياض قد تجاوزت بنية الإنشاد المضمن في جزء منه ، إلى تحديد التمثّل (الصرف) بقول أحدهم ، كما روى من نمط (رواية التمثل) إن جاز الإصطلاح :" أنشد متمثلاً : (البيتان ...) (٦٧) ، أوأنشد يقول متمثلاً : (الأبيات الثلاثة ...) (٦٨)

ولاشكّ في أن من مستلزمات هذا التخصيص ، توافر ذائقة منتقاة ، أثناء عملية التمثّل ، تراعي الإستساغة التلقائية المنسجمة مع المعنى الشعري المطلوب الوصول إليه حتى حين اللجوء إلى تضمين الشطر الشعري الواحد (٦٩) ، ناهيك عن تعدد الأشطر ، فلا غرابة إذن أن يرتبط بهذا البناء النصي عنصر الإستحسان النقدي الذي شكل باعثاً على تكرار عملية إنشاده لما تنطوي عليه من إيجابيات . قال إبن الأبار :" وكان شيخنا أبو الربيع بن سالم كثيراً ما ينشدنا مُستملحاً قول أبي محمد إبن عبدون ، ويقول أنشدنا القاضي أبو عبد الله إبن زرقون عنه : (٧٠)

أيا ساميـاً من جانبيه إلى العلا " سموَّ حَبابِ الماءِ حالاً على حالِ "
لعبدك دارحـل فيـــها كـــأنها " ديار سلـمى عافيات بذي خال "
يقول لهـــا لـما رأى من دثورها " الا عم صبحا ايها الـطلل البالي "
فمر صاحب الانزال منها بفاصل " فإن الفتـــى يهذي وليس بفعال "

ووصل (الحد الذوقي) ضمن هذه الدائرة أحياناً إلى رواية التمثل بأبيات شعرية مختلفة القافية من شعر السابقين يجمعها خط واحد ضمن مقطع نصي جامع فحسب ، على حسب الرواية السماعية الآتية ، بعد أن يضع (المُتمثل) نصب عينيه على الأقل إستثمار إمكانيات مايتوافر من التواؤم ضمن نظام الوزن الصوتي في هذا السياق المعنوي ، قال القاضي عياض في يونس بن محمد الفقيه المعروف بإبن الصفار :" وسمعته يقول رحمه الله وذكر أبا محمد الأصيلي وأنه أبلغ عن القاضي أبي بكر إبن زرب كلاماً في جانبه ساءه فبلغ به الضجر منه إلى أن شق جيبه غيظاً ثم تمثّل : (٧١)

لَبِسْتُـمْ ثِيابَ الخَزِّ لَـمَّـا كُفيْتُـمْ وَمِنْ قَبْلُ لاتَدْرُونَ مَـنْ فَتَحَ القَـرَى
وقَـوفاً بأطـرافِ الفِـجَاجِ وَخَيْلُنَا تَسَاقَى كُؤوسَ المَوْتِ تَدْعَسُ بالقَنَا

فـــلَّما أكـــلتُـمْ فَيْنَـــنا بسلاحِنَا تَحَـدَّثَ مَكْـفِيٌّ بعيـــبِ الـذي كَفَـــى

وسلوك القاضي عياض هذا الوجه في الرواية غير المطوّلة عددياً (البيتان أو الثلاثة على أبعد حد) التابع لمقتضيات التمثل ، جاء متوافقاً مع أسلوب الرواية في محيط الإستشهاد ، ولا سيما في كتابه (بغية الرائد) ضمن حدود الشطر ، أو البيت الشعري (الشاهد / المروي) بقوله : " وذكرت الشواهد في المعاني تمهيداً لها وإظهاراً لوجوهها وحجّة على صحة تأويلاتها ، لإشتراك الخواطر فيها ، وتوارد العقول عليها " (٧٢) ، وهذا ما يحيلنا من جانب إلى المقياس الثالث اللغوي ، إذ لم يخل العرض للشاهد المروي في هذا الجانب ، من التمحيص ولا سيما فيما يتعلق بقضية الإبدال اللفظي ، ففي المجيء على ذكر المزاهر في أشعار العرب " قال الأعشى :

جالس حـوله الندامى فما ينـ ـفـك يؤتـى بـمزهر مـندوف

كذا أنشده أبو عبيد وغيره ، وهي إحالة من الرواية وغلط ، والشعر : " يؤتى بموكد محذوف " ، يعني الزق وبعده : (٧٣)

وصـدوح إذا يـهيجـها الشـر ب تـزقت في مـزهر مـندوف

وقوله في الأستاذ النحوي أبو الحسن المعروف بإبن الأخضر الإشبيلي(ت ٥١٤هـ) :" وأنشدني ، رحمه الله قال أنشدني أبو الحجاج يوسف الأعلم لبعض شعراء الأدب : (٧٤)

وزادٍ وضعت الكـف فيه تَأنسًا وما بـي إلا أنسة الضيف من أكلِ
وزادٍ رفـعتُ الكفَّ عـنهُ تكرمًا إذا ابتـدرَ القومُ القليلَ مـن البَقْلِ
وزادٍ أكـلنـاهُ ولـم نَنْتَـظِرْ بـهِ غداً إنَّ بُـخلَ المرءِ من أسوأ الفِعلِ

كذا قاله الأعلم "البقل" بالباء والقاف ، والأشبه عندي فيه "الثفل" بالثاء المثلثة والفاء . قال الحوفي : الثفل طعام القرى ، وأنشد : الرجز

ما ذاقَ ثَفْلاً مُنْذُ عامِ أوَّل

ومن جهود أبي الربيع في هذا الإطار أيضاً نقلاً عن إبن الأبار " وحكي ... أن أبا الطاهر حضر مع جماعة من أصحابه ، فيهم أبو عبد الله إبن زرقون متنزهاً في بعض الأعوام ، وفي عقب شعبان منه . فلمّا تملأوا بالطعام قال أبو الطاهر لإبن زرقون : أجز يا أبا عبد الله ، فقال :

حَمِدْتُ لشـعبانَ المُباركِ شَبعةً تُسهِّل عنـــدي الجُوعَ في رمضانِ

... وحدثني بهذه الحكاية شيخنا أبو الربيع ، وأنشدني الأبيات لإبن زرقون ، وقال : " أكلة " مكان " شبعة " . (٧٥)

٤- التحقيق : لانعدم الصور التي حدَت بالراوية الأندلسي إلى تلافي الوهم الدائر حول قضية نسبة الشعرإلى قائله على نحو متفاوت ، كماجاء في قول القاضي عياض في حال بيان الأشعار المنسوبة للقاضي أبي محمد : " وقرأت في بعض الأخبار أن الشعر ليس من قوله . وأن القاضي أبا محمد قال وجدت مكتوباً على سارية بحران ، فذكر الشعر ، وأكثر الناس يروونه له ، فالله أعلم " (٧٦)

وينثّ هذا الفضاء أن الشعر المروي سواء أكان في الأبيات والمقطوعات أم في اليسير النادر منه كان سيّان لدى القاضي عياض ، بعد أن فضل إلتزام المبدأ القويم في هذه المسألة الثبوتية على الإنسياق وراء إغراء الكم الشعري ، إذ حتى مع توافر شاعرين يتنازعان في نسبة البيتين إليهما ، قال القاضي : " وأنشد بعض الأدباء لإبن دحون وزعم أنها من قوله ، وهي تنشد لإبن الروي رحمه الله : (٧٧)

عجبت من الخير في أنعم بالدجى وأصبح ريّاه مـع الصبح يعـجب
فخلت الرِّيا طبـعاً لـه فـكـأنه فـقيه يرائي وهـو بالليل يشرب

وتبدو صورة هذا الجهد بوضوح بعد أن : " أنشدنا أبو الربيع بن سالم قال أنشدني الشيخ الصالح أبو جعفر أحمد بن علي بن حكم بغرناطة قال أنشدني أبو العباس أحمد بن الأستاذ أبي القاسم الأبرش وكان ورّاقاً قال أنشدني أبي لنفسه : (٧٨)

ألا حَبَّذا عيش الخُمُول وحبَّذا مَقيلي في أكنافِهِ وُرقادي
خُمولٌ وأمن طال مثواي فيهما وقد جَهِل الحُسَّاد لين مهادي

قال شيخنا أبو الربيع وكتب لي بخطه هذا أنشدنا أبو جعفر هذه الأبيات لأبي القاسم بن الأبرش ، وذلك وهْم منه أو من المنشد له ، وإنما هي لأبي سليمان الخطابي أنشدها له القاضي أبو الوليد الباجي في كتاب سنن الصالحين من تأ ليفه وذكر فيها ثالثاً وهو :

هَـلِ العيْشُ إلا اليـأْسُ والتُّقى وعلم إلى خيْر العواقبِ هَـادي

و يأتي هذا فيما قرن أبو الربيع سند الرواية فضلاً عن متنها(الأصلي والزيادة عليه) في إطار قضية الزيادة الإنشادية بمصدر ظاهر متسلسل في مظهر توثيقي محكم ، قال إبن الأبار في إنشاد بيتين من شعر إبن فرتون : " وزاد أبو الربيع بيتا ثالثاً عن إبن حمير بالإنشاد عن إبن الأبرش كذلك : البيت ..." (٧٩)

الخاتمة :

يمكن القول أنه لاينبغي فصل العالمين الجليلين عن ميدان رواية الشعر العربي في العهدين المرابطي والموحدي الذي يتلوه ، ويكفي أن الشواهد الباقية التي تؤلف بحد ذاتها باقة غنّاء من هذا الحقل الأدبي خير دليل على كلامنا ، تلك التي نرى أنها تشترك فيما بينها من جهة العوامل التي قادت الراوتين إلى العمل ضمن هذا المجال الذي سعى بجلاء على عادته إلى ابراز (الأنموذج الشعري الصحيح) ، بعد الرجوع بالنص إلى مجالس الثقات من الحَفَظة والكَتَبة الذين لم يختلف عليهم أحد في ظل سريان النقل عنهم ، وكشف هاجس الإجراء المنهجي النقابَ عن السبل المتاحة إليه ، وكأن الرواة أرادوا إخبارنا بطابع

الشعر المروي عنهم في ضوء العناصر الشاخصة القابلة للقياس التي جمعها جانب من الشعر العربي على مرّ العصور في نصوصه لكن هذه الخدمة الجليلة المستوحاة من سمة مروياتهم على وجه العموم ، نزعت منزعاً ذوقياً قام على الإختيارات التي لم تسمح عند نقطة معينة بظهور أصناف أخرى من النصوص الشعرية على الساحة الروائية لاتصلح للرواية في نظرهم لا لأنهم لم لا يعرفون شيئاً عنها ، بل يعود الأمر في أساسه كما هو معلوم إلى الإنسياق وراء ذلك التعارض بينها وبين هدف الإتجاه المُحافظ الذي مثلّه الراويتان معاً .

الهوامش والإحالات :

(١) القاضي – فهرست شيوخ القاضي عياض (المقدمة ، ص٣) .

(٢) النباهي – تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٠١ .

(٣) ينظر : إبن بشكوال– الصّلة ، ج٢، ص ٦٦٠ ، إبن فرحون – الديباج المذهّب ، ج٢ ، ص ٤٧ .

(٤) المقّري – أزهار الرياض ، ج٤ ، ص ٢٤٠ .

(٥) إبن الأبار – المعجم ، ص ٢٩٥ – ٢٩٦ .

(٦) للتوسع ينظر بهذا الشأن لطفاً دراسة : الترابي ، أ . د . البشير علي أحمد – القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية ، دار إبن حزم ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ .

(٧) الأصفهاني – خريدة القصر ، قسم شعراء المغرب والأندلس ، ج٢ ، ص ٥٠١ .

(٨) إبن خاقان – قلائد العقيان ، ص ٧٨٣ .

(٩) إبن فرحون – مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٥٠ .

(١٠) إبن الخطيب – الإحاطة ، م٤ ، ص ٢٢٢–٢٢٣ .

(١١) الضبّي– بغية الملتمس ، ص ٤٣٧ .

(١٢) النباهي – مصدر سابق ، ص ١٠١ . الصفدي – كتاب الوافي بالوفيات ، ج٢٣ ، ص ١٢٢ .

(١٣) إبن فرحون – مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٥١ .

(١٤) الرعيني – برنامج شيوخ الرعيني ، ص ٦٦ ، الصفدي – كتاب الوافي بالوفيات ، ج ١٥ ، ص ٢٦٣

(١٥) ينظر : إبن الأبار – تحفة القادم ص ٢٠١ ، البلفيقي – المقتضب ، ص ١٩١ ، الرعيني – مصدر سابق ص ٦٦ ، إبن سعيد – المغرب ، ج٢ ، ص٣١٦ . الحميري – الروض المعطار ، ص ٤١ . الذهبي – سير أعلام النبلاء ، ج٢٣ ، ص ١٣٥ ، العبر ، ج٥ ص ١٣٧ . تذكرة الحفاظ ، ج٤ ص ١٤١٧ . الكتبي – فوات الوفيات والذيل عليها ، م ٢ ، ص ٨٠ ، اليافعي – مرآة الجنان ، ج٤ ، ص ٦٨ . إبن العماد – شذرات الذهب ، م٧ ، ص ٢٨٧ .

(١٦) إبن الأبار – تحفة القادم ، ص ٢٠١ .

(١٧) الرعيني – مصدر سابق ، ص ٦٧ .

(١٨) الذهبي – تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص ١٤١٨ .

(١٩) إبن الأبار – تحفة القادم ، ص ٢٠١ .

(٢٠) النباهي – مصدر سابق ، ص ١١٩ .

(٢١) ينظر : اليافعي – مرآة الجنان ، ج٤ ، ص ٦٨ ، إبن العماد – شذرات الذهب ، م٧ ، ص ٢٨٧ .

(٢٢) الذهبي – تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص ١٤١٩ . وينظر لطفاً حول أسماء مجموعات الكلاعي : الرعيني – مصدر سابق ، ص ٦٧– ٦٨ . وقد أوردت لهي ، د. ثريا مسرداً جمعت فيه أسماء مؤلفات الكلاعي . ينظر : الكلاعي –جهد النصيح ، (دراسة وتحقيق)، ص ١٧٢ وما بعدها لطفاً .

(٢٣) النباهي – مصدر سابق ، ص ١١٩ ، الذهبي – تذكرة الحفاظ ، ص ١٤١٨ .

(٢٤) الرعيني – مصدر سابق ، ص ٦٧ .

(٢٥) الكلاعي – نكتة الأمثال ، (المقدمة ص ٦) .

(٢٦) ينظر : إبن الخطيب – مصدر سابق ، م٤ ، ص ٢٩٦ .

(٢٧) ينظر : الذهبي – تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص ١٤١٧ .

(٢٨) إبن الخطيب – مصدر سابق ، م٤ ، ص ٢٩٦ .

(٢٩) الذهبي – تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص ١٤١٧ .

(٣٠) الرعيني – مصدر سابق ، ص ٦٩ .

(٣١) ينظر : إبن الأبار – تحفة القادم ، ص٢٠١ ، الرعيني – مصدر سابق ص ٧٠ ، الذهبي – تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص ١٤١٨– ١٤١٩، النباهي – مصدر سابق ، ص ١١٩ ، إبن الخطيب – مصدر سابق ، م٤ ، ص ٣٠٢ ، إبن فرحون – مصدر سابق ، ج١ ، ص ٣٨٨ .

(٣٢) ينظر : إبن الأبار – الديوان ، ص ١٢٤ ، و إبن الأبار – تحفة القادم ، ص ٢١٦–٢١٧ ، والبلفيقي – مصدر سابق ، ص ٢٠٤ ، وإبن عبد الملك – الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ، ص٩٠ ، والحميري – مصدر سابق، ص ٤١ .

(٣٣) إبن رشيق – العمدة ، ج١ ، ص ٣٠ .

(٣٤) إبن خلدون – المقدمة ، ص ٥٨١ .

(٣٥) الحصري – زهر الآداب ، ج١ ، ص ٢٠٧ .

(٣٦) أمين ، أحمد – النقد الأدبي ، ص ٤٤٦ .

(٣٧) إبن رشيق – مصدر سابق، ج١ ، ص ٣٠ .

(٣٨) أبو بحر – زاد المسافر (المقدمة ، ص ٧) .

(٣٩) الحميري ، مصدر سابق ، ص ٤١ .

(٤٠) لهي ، ثريا – أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي حياته وآثاره ، ص ٧٦ .

(٤١)إبن الخطيب – مصدر سابق ، م٤ ، ص ٢٩٧ .

(٤٢) الكلاعي – جهد النصيح ، ص ١٧٤ .

(٤٣) الوادي آشي – برنامج إبن جابر الوادي آشي ، ص ٢٢٠ .

(٤٤) القاضي – الغنية ، ص ١٢ .
(٤٥) ينظر : إبن الأبار– إعتاب الكتاب ، ص ٢٤٩ .
(٤٦) أبو العباس – عنوان الدراية ، ص ٣١٠ .
(٤٧) إبن سعيد – مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٣١٦ .
(٤٨) إبن عبد الملك – مصدر سابق ، ج٤ ، ص ٨٨ .
(٤٩) المقّري – نفح الطيب ، ج٥ ، ص ٥٨ .
(٥٠) القاضي – ترتيب المدارك ، ج٢ ، ص ٣٥١ .
(٥١) إبن الأبار – التكملة ، ص ١٧٦ ، والشعر في إبن خفاجة – الديوان ، ص ٢٨٠– ٢٨١ .
(٥٢) إبن الأبار – تحفة القادم ، ص ٣٤ .
(٥٣) القاضي – ترتيب المدارك ، ج٢ ، ص ١٤٨ .
(٥٤) القاضي – الإلماع ، ص ٢١٠– ٢١١ .
(٥٥) نفسه ، ص ٣٣٥–٣٣٦ .
(٥٦) ينظر : القاضي – ترتيب المدارك ، ج١ ، ص ١٣٦ –١٣٧ ، ج٢ ، ص ١٣٢ . الإلماع – ص ٤١ ، ص ٢٣٣ . بغية الرائد ، ص ١٨٣ .
(٥٧) القاضي – ترتيب المدارك ، ج١ ، ص ٤٠٣ .
(٥٨) نفسه ، ج٢ ، ص ٣٤٧ .
(٥٩) نفسه ، ج٢ ، ص ٣٥١ .
(٦٠) شقور– القاضي عياض الأديب ، ص ٢٧٣ .
(٦١) أبو عبد الله محمد – مصدر سابق ، ص ٩٨ – ١٠٠ .
(٦٢) عبد الرحيم ، د . مصطفى – تيارات النقد الأدبي في الأندلس ، ص ١٦٢ .
(٦٣) القاضي – ترتيب المدارك ، ج١ ، ص ١٨٤ .
(٦٤) أبو عبد الله محمد – مصدر سابق ، ص ٧٥ .
(٦٥) إبن الأبار – تحفة القادم ، ص ١٢٠ .
(٦٦) إبن سعيد – مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢٦١ .
(٦٧) القاضي – ترتيب المدارك ، ج١ ، ص ٢٦٢ .
(٦٨) القاضي – الشفا ، ج٢ ، ص ٦٢١ .
(٦٩) ينظر : القاضي – فهرست شيوخ القاضي عياض ، ص ١٦٣ .
(٧٠) إبن الأبار – تحفة القادم ، ص ١٦٧ . والأبيات في إبن دحية – مصدر سابق ، ص ١٨٢ . والتضمين الشعري من لامية امرئ القيس ، الكندي – الديوان ، ص ١٣٦ .
(٧١) القاضي – فهرست شيوخ القاضي عياض ، ص ١٦٥ .
(٧٢) القاضي – بغية الرائد ، ص ٢١٥ . وعلى هامش هذا القول يرى أحد الباحثين في كتب القاضي عياض أنها استوعبت هذا المبدأ في التأليف بعد أن أظهرت مدى إلمامه (بالشاهد المروي) . ينظر : كنون ، عبد الله – القاضي عياض بين العلم والأدب ، ص ٥٢ .

(٧٣) القاضي – بغية الرائد ، ص ١١٢ .

(٧٤) القاضي – فهرست شيوخ القاضي عياض ، ص ١٣٤ .

(٧٥) إبن الأبار – تحفة القادم ، ص ٣٥– ٣٦ .

(٧٦) القاضي – ترتيب المدارك ، ج٢ ، ص ٢٧٤ .

(٧٧) القاضي – ترتيب المدارك ، ج٢ ، ص ٢٩٩ . وجاء فيه : يراءي ، والصواب ما أثبتناه .

(٧٨) ابن الأبار – التكملة ، ص ٨٤–٨٥ .

(٧٩) إبن الأبار – تحفة القادم ، ص ٢٣ .

المصادر والمراجع :

* إبن الأبار ، أبو عبد الله محمد (ت ٦٥٨ هـ) – إعتاب الكتاب ، تح : د . صالح الأشتر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٦١ .

– تحفة القادم ، أعاد بناءه وعلّق عليه ، د . إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦ .

– التكملة لكتاب الصلة (القسم الأول المفقود من طبعة الشيخ قدارة زيدين في مجريط ١٨٨٦–١٨٨٩ ، ومن طبعة الشيخ فنزالش بلنسية في مجريط سنة ١٩١٥) ، عني بطبعه وتعليق حواشيه الفريد بل (بإشتراك) المطبعة الشرفية ، الجزائر ، ١٩١٩ .

– الديوان ، قرآة وتعليق : الأستاذ عبد السلام الهراس ، المملكة المغربية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٩٩٩ .

– المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ، تح : كوديرا ، مطبعة روخس – مدريد ، ١٨٨٥ .

* إبن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ) – الصلة ، ج٢، تح : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، (بإشتراك) ط١ ، ١٩٨٩ .

* إبن خاقان ، الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي (ت ٥٢٩هـ) – قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، جزءان في مجلد واحد ، تح : د. حسين يوسف خريوش ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، ط١ ، ١٩٨٩ .

*إبن الخطيب ، لسان الدين محمد (ت ٧٧٦هـ) – الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح : محمد عبد الله عنان مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، م٢ ، ١٩٧٤ ، م٤ ، ١٩٧٧ .

* إبن خفاجة ، أبو إسحق إبراهيم(ت ٥٣٣هـ) – الديوان ، تح : عبدالله سنده ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ٢٠٠٦ .

* إبن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) – مقدمة إبن خلدون ، روجعت هذه الطبعة وقوبلت على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء ، دار الفكر ، (د . ت) .

* إبن خلكان ، شمس الدين أحمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ) – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، م٢ ، تح : د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، (د . ت) .

* إبن دحية ، عمر بن الحسن بن علي (ت ٦٣٣ هـ) – المطرب من أشعار أهل المغرب ، تح : إبراهيم الأبياري (بإشتراك) ، دار العلم للجميع ، بيروت ، ١٩٥٥ .
* إبن رشيق ، أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٥٦هـ) – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، جزآن في مجلد واحد ، ج١ ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢ .
* إبن سعيد ، علي بن محمد (ت ٦٨٥هـ) – المغرب في حلى المغرب ، ج٢ ، تح : د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، (التاريخ في مقدمة المحقق ١٩٥٥) .
* إبن عبد الملك ، محمد بن محمد (ت ٧٠٣هـ) – الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، بقية السفر الرابع ، تح : د . إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، (د . ت) .
* إبن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩ هـ) – شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، م٧ ، تح : عبد القادر الأرناؤوط (بإشتراك) ، دار إبن كثير ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩١ .
* إبن فرحون ، أبو إسحق إبراهيم بن علي (ت ٧٩٩هـ) – الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، ج١ –٢ ، تح : محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، (د .ت) .
* أبو بحر ، صفوان بن إدريس (ت ٥٩٨ هـ) – زاد المسافر وغرة محيّا الأدب السافر ، أعده وعلق عليه : عبد القادر محداد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٠ .
* أبو العباس ، أحمد بن أحمد (ت ٧١٤هـ) – عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح : عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩ .
* أبو عبد الله ، محمد بن عياض– التعريف بالقاضي عياض ، تح : د. محمد بن شريفة ، مط فضالة – المحمدية ، ط٢ ، ١٩٨٢ .
* الأصفهاني ، العماد(ت ٥٩٧ هـ) – خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء المغرب والاندلس ، ج٢ ، ، تح ، آذر تاش آذر نوش ، ط٢ ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٦ .
* أمين ، أحمد – النقد الأدبي ، جزآن في مجلد واحد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٦٧ .
* البلفيقي ، أبو إسحق إبراهيم بن محمد – المقتضب من كتاب تحفة القادم لإبن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) ، ، تح : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني (باشتراك) ، ط٢ ، ١٩٨٣ .
* الترابي ، أ . د . البشير علي أحمد – القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية ، دار إبن حزم ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ .
* الحصري ، أبو إسحق إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣هـ) – زهر الآداب وثمر الألباب ، ج١ ، تح : زكي مبارك ، دار الجيل ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢ .
* الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧هـ) – الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : د . إحسان عباس مكتبة لبنان بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤ .
* الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد (ت ٧٤٨هـ) – تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د .ت) .
– سير أعلام النبلاء ، ج٢٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠١ .

– العبر خبر من غبر ، ج٥ ، تح : د . صلاح الدين المنجد ، مط حكومة الكويت ، ١٩٦٦ .

* الرعيني ، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٦٦هـ) – برنامج شيوخ الرعيني – تح : إبراهيم شبوح ، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ، ١٩٦٢ .

* شقور ، عبد السلام – القاضي عياض الأديب ، دار الفكر المغربي ، ط١ ، ١٩٨٣ .

* الصفدي ، صلاح الدين أيبك(ت ٧٦٤ هـ) – كتاب الوافي بالوفيات ، ج٣ ، ١٥ ،٢٣ ، ٢٩ ، ، تح : أحمد الأرناؤوط (بإشتراك) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ .

* الضبّي ، أحمد بن يحي بن أحمد (ت ٥٩٩هـ) – بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

* عبد الرحيم ، د . مصطفى عليان – تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ .

* القاضي ، عياض بن موسى (ت ٥٤٤هـ) – الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، تح : السيد أحمد صقر ، دار التراث ، القاهرة (بإشتراك) ، ط١ ، ١٩٧٠ .

– بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد ، معه تفسير نفس الحديث للحافظ السيوطي ، تح : صلاح الدين بن أحمد الإدلبي (بإشتراك) ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، ١٩٧٥ .

– ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ج١–٢ ، ضبطه وصححه : محمد سالم هاشم دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ .

– الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تح : علي محمد البجاوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٤ .

– الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض) ، تح : ماهر زهير جرّار ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط١ ١٩٨٢.

– فهرست شيوخ القاضي عياض ، المسمّى (الغنية) ، تح : د. علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣ .

* الكتبي محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ) – فوات الوفيات والذيل عليها ، م ٢ ، تح : د . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٤ .

*الكلاعي ، أبو الربيع سليمان بن موسى (ت ٦٣٤هـ) – جهد النصيح وحظ المنيح من مساجلة المعري في خطبة الفصيح ، دراسة وتحقيق : ثريا لهي ، منشورات كلية الآداب بالرباط ، ط١ ، ٢٠٠١ .

– نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال ، تح : علي إبراهيم كردي ، دار سعد الدين ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٥ .

* الكندي ، أمرؤ القيس(ت ١٨٠ ق هـ) – الديوان ، إعتنى به وشرحه : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٤ .

* كنون ، عبد الله – القاضي عياض بين العلم والأدب ، دار الرفاعي ، الرياض ، ط١ ، ١٩٨٤ .

* لهي ، ثريا – أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي حياته وآثاره ، المملكة المغربية ، وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية ، ط١ ، ١٩٩٤ .

* المقّري ، أحمد بن محمد (١٠٤١ هـ) – أزهار الرياض في أخبار عياض ، خمسة أجزاء ، تح ، مصطفى السقّا وآخرون ، مط فضالة ، (د . ت) .

– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، ج ٥ – ٦، تح : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ .

* النباهي، أبو الحسن بن عبد الله – تاريخ قضاة الأندلس ، وسمّاه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تح : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٨٣ .

*الوادي آشي ، شمس الدين محمد بن جابر (ت ٧٤٩هـ) – برنامج إبن جابر الوادي آشي ، تح : د . محمد حبيب الهيلة ، تونس ، ١٩٨١ .

* اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ) – مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ج٤ ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ .

Abstract

This is a literary study devoted to underline the quotation method followed by two narrators selected as two samples of Andalusia poetic quotations during the Period of Al-Murabiteen and Al-Muwahideenin Morocco and Andalusia, they are Al-Qadhi el Ayyadh(died in 544Hijri) and Abu-el Rabeea Bin Salim (died in 634 Hijri) equivalently. The researcher depended on the descriptive-analytical in his study which lies in two chapters preceded by an introduction and ended by a conclusion. The most important finding of the study was that there was no any disagreement about the concept of quotation of poetry in general and the two narrators had a lot in common.